ولكن هل معنى هذا هو رفض التصنيف ونبذه ؟ هل معنى هذا الإخفاق أنه ليس له مكان فى التنظيم الببليوجرافى ؟ الحقيقة أن هذا الإخفاق لا يعنى رفض التصنيف ، بل يعنى رفض التقاليد التى عاقته عن التقدم والبحث عن أسس جديدة تقوم عليها الخطط المقبلة . فالتصنيف أساس علم المكتبات ، وإن نجاح محاولاتنا لتنظيم السجلات المطبوعة لحضارتنا سوف يعتمد اعتماداً كبيراً على ابتكار أنظمة لتنظيم تلك السجلات بطريقة تزيد من فائدتها للمجتمع .

بل على العكس من ذلك ، لقد حدثت « نهضة جديدة فى التصنيف » يفسرها تزايد الإنتاج الفكرى فيه ، وتزايد البحث فيه وعقد مؤتمرات دولية للبحث فى التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات ، وتأليف عدة جماعات للبحث فى التصنيف ، وتكوين لجنة الاتحاد الدولى للتوثيق للبحث فى التصنيف. كل هذه النهضة وهذا النشاط حدث فى الأربعين سنة الأخيرة .

رانجاناتان والتصنيف المتعدد الأوجه

ولا شك أن معظم التطورات الحديثة التى جسمت النهضة المعاصرة فى التصنيف هى بفضل جهود وأفكار عالم التصنيف الهندى « د . رانجاناتان » ، وما حدث من اهتمام فى بريطانيا كان أثراً من آثاره .

بدأ « رانجاناتان » جهوده فى التصنيف وهو لا يزال فى بريطانيا دارساً جديداً لعلم المكتبات عام ١٩٢٤/١٩٢٥ – وقبل أن يعود إلى الهند عام ١٩٢٥ كان قد أعد إطار خطة تصنيف جديدة وبعض القوائم كنماذج . فلما عاد جرب الخطة فى مكتبة جامعة مدراس . وفى سنة ١٩٣٣ صدرت الطبعة

الأولى من « الكولون » ، ثم تتابعت الطبعات بعد ذلك حتى وصلت إلى الطبعة السادسة سنة ١٩٦٠ وقد أعلن عدة مرات عن قرب ظهور الطبعة السابعة ولكن لم تصلنا حتى الآن .

كان عمل « رانجاناتان » فى التصنيف يسير فى اتجاهين رئيسيين : البحث فى نظرية التصنيف ، والعمل فى الكولون . فالنتائج التى يتوصل إليها خلال بحثه فى التصنيف يضمنها كتاباته من كتب ومقالات متعددة ويجسدها فى تصنيف الكولون فى كل طبعة جديدة على هيئة وسائل وطرق جديدة سواء فى بناء الخطة أو فى تحسين الرمز .

وتختلف طريقة الكولون عن غيرها من خطط التصنيف العامة ، فهذه الأخيرة تسمى الخطط الحاصرة ، وهى تحصر أو تحاول أن تحصر كل موضوعات المعرفة البشرية وترتبها فى سلم للرتب يسبق العام فيه الخاص وفق قواعد التصنيف وقوانينه التى رسخت فى علم المنطق واستعارها علم التصنيف واستعان بها فى وضع معايير لبناء قوائم التصنيف. وبعد أن ينتهى عالم التصنيف من حصر الموضوعات ثم ترتيبها يضيف إليها الرمز الذى يوئى الترتيب ، ثم يعد لها كشافاً ألفبائياً . وعلى هذا فإن خطط التصنيف الحاصرة مثل ديوى أو الكونجرس أو بليس تقدم أرقاماً جاهزة للموضوعات سواء أكانت هذه الموضوعات بسيطة أم مركبة أم متشابكة ، وهى فى هذا تعتمد على «التغليب» الذى أشرنا إليه من قبـــل عند البحث فى أسباب إخفاق خطط التصنيف التقليدية .

أما تصنيف الكولون فهو خطة تحليلية تركيبية متعددة الأوجه ، فهو لا يحصر كل موضوعات المعرفة البشرية ولا يقدم أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات ، بل يعتمد على أسس مختلفة قوامها عملية التحليل الوجهى .

والتحليل الوجهى هو عبارة عن التعرف على الأوجه العاملة أو المؤثرة فى كل موضوع يجرى تصنيفه . والوجه هو مجموع الأفراد الناتجة عن التقسيم وفقاً لخاصية واحدة .

وسوف نتناول فى هذا البحث بالشرح كيفية إجراء التحليل الوجهى وطريقة إعداد نظام للتصنيف وفق المنهج الحديث . ولهذا فنحن نقتصر الآن على مجرد التفرقة بين التصنيف الحاصر والتصنيف التحليلى التركيبى المتعدد الأوجه .

على أى حال ، فإنه بعد أن تعد قوائم التصنيف المتعددة الأوجه ، يضاف إليها الرمز ويعد لها الكشاف . والتصنيف العملى فى هذا النوع من الخطط يعتمد على أساس آخر غير الخطط الحاصرة ، إذ أن التصنيف الحاصر يقدم أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المختلفة . أما المتعدد الأوجه فهو يتألف من قوائم مستقلة للأوجه المستقلة . وعند التصنيف العملى يتم تحليل موضوع الوثيقة إلى عناصره ، ثم يسحب رقم كل عنصر من قائمة مستقلة . وتحدد صيغة ترتيب الأوجه الخاصة بالموضوع ترتيب عناصره فى الموضوع المركب ، كما تحدد علامة الربط المناسبة .

وعندئذ يضم هذه العناصر معاً وفقاً للترتيب المفيد المسبق وباستخدام علامات الربط الموصفة . وهكذا نرى أن التصنيف الأخير متعدد الأبعاد أو الأوجه . وهو بهذا يقدم الوصف المتعدد الأبعاد لموضوع الوثيقة كحل للمشكلة الفلسفية للتصنيف . لقد كان التصنيف الحاصر يضغط الوثيقة وموضوعها فى بعد واحد ويقتصر بهذا على نوع واحد من العلاقة ، كما سبق أن أشرنا ، لذلك فهو يعتمد على التغليب ، وهو جامد لا ينمو إلا من الناحية الميني فقط من رقم التصنيف . لذا فإن تمثيله للموضوعات والعلاقات ناقص .

أما التصنيف المتعدد الأبعاد فهو يمثل كل العناصر التى يشتمل عليها موضوع الوثيقة وفى علاقاتها الصحيحة أيضاً . وهو يحل هذه المشكلة فى الرمز عن طريق استخدام علامات الربط التى تستخدم كفواصل تميز كل عنصر عن غيره ، وعلى هذا يمكن أن ينمو كل عنصر على حدة . ولهذا يمكن التعبير عن موضوع الوثيقة تعبيراً كاملا بقدر ما هنالك من عناصر وتمييز هذه العناصر من خلال الرمز المميز الأوجه .

لقد أخفق التصنيف التقليدى الحاصر للأسباب التى ذكرناها آنفا إذ أن موضوعات الوثائق والمقالات والتقارير الخاصة بالأبحاث موضوعات متشابكة تتضمن عدداً من العناصر ، والتصنيف التقليدى لا يمثل هذه العناصر ولكنه يضعها فى مكان واحد وبالتالى فهو لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن موضوعاتها ، أما التصنيف التحليلى التركيبى فهو يحل هذه المشكلة إذ أنه يحلل موضوعات الوثائق إلى عناصرها ، ويعطى كل عنصر رقم التصنيف المناسب . ثم يعيد تركيبها معاً فى رقم تصنيف واحد باستخدام علامات الربط المناسبة التى تخدم فى نفس الوقت كوسيلة لتمييز أرقام الأوجه ، ورقم التصنيف بهذا يتطابق تطابقاً كاملا مع مضمون الوثيقة .

لذا فإن التصنيف المتعدد الأوجه هو النوع الوحيد الذى يصلح لأداء الخدمات التوثيقية الحديثة وينجح فيما أخفقت فيه خطط التصنيف الحاصرة التى لا تصلح لأداء هذه المهمة .